مصعب بن عمير

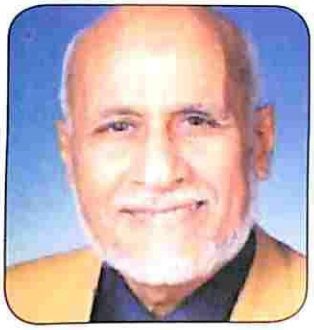

د . حمادة إبراهيم - مصر

- مسرحية تاريخية في خمسة مشاهد -

(مصعب بن عمير، أو فتى قريش المدلل، كما كانوا يلقبونه. كان أكثر فتيان مكة جاهاً ومالاً. وأكثرهم استمتاعاً بالحياة. ومن ثم لم يخف عليه الدين الجديد الذي جاء به محمد بن عبد الله، وتسربت أخباره في شعاب مكة. وسرعان ما أدرك الفتى من أول لقاء مع رسول الله ﷺ أنه من الموعودين بالهداية. وكانت فرحته غامرة، طار لها قلبه.

لكن الذي كان يقلق الفتى وينغص عليه سعادته، لم يكن صناديد قريش ولا أشرافها، بل أمّ مصعب «خناس بنت مالك. أغنى أغنياء مكة، هي وحدها التي يخافها ويخشى غضبها.

لذلك فحينما شاهد عثمان بن طلحة مصعب بن عمير يتردد في استخفاء على دار الأرقم، حيث يلقى رسول الله ﷺ ويتلو القرآن مع أصحاب الدين الجديد، أسرع الرجل إلى الأم).

(١)

(عثمان بن طلحة – خناس أم مصعب).

أم مصعب: خسئت يا بن طلحة! ماذا تقول أيها الأحمق؟

عثمان بن طلحة: أهذا جزائي يا أم مصعب؟ أقسم لك بالآلهة...

أم مصعب: فلتلعنك الآلهة إذاً. إياك أن تكرر هذا القول.

عثمان بن طلحة: واللات والعزى، لقد رأيت ابنك مصعباً أكثر من مرة يدخل دار الأرقم ويخرج منها.

أم مصعب: قل إنه شُبّه عليك، أو إنك كنت مخموراً.

عثمان بن طلحة: والله ما شبّه عليّ، وما كنت مخموراً.

أم مصعب: أنا، خُناس بنت مالك بنت أشرف أشراف مكة. وأنا من أنا في قريش، يدخل ابني في دين محمد ويترك دين آبائه؟!

عثمان بن طلحة: سيدتي، والله إني لأعرف قدرك في قريش ومكانك في مكة. ولكنني رأيت مصعباً قبل ساعة يدخل دار الأرقم. رأيته بعيني رأسي وأنا في تمام وعيي ورشدي. وبسبب حبي لك وإجلالي، جئت إليك لكي تتداركي الأمر قبل أن يستفحل.

أم مصعب: وإذا كنت كاذباً يا بن طلحة؟

عثمان بن طلحة: فلتفعل بي سيدتي ما شاءت.

أم مصعب: لأمثلن بك يا بن طلحة، ولأجعلنك عبرة.

عثمان بن طلحة: رضيت بحكم مولاتي.

أم مصعب: إذاً، إن كان دخل دار الأرقم قبل ساعة كما تزعم، فإنه يكون هناك الآن؟

عثمان بن طلحة: نعم يا سيدتي، فهم إذا دخلوا الدار مكثوا فيها الساعات الطوال.

أم مصعب: اسمع يا بن طلحة. تذهب من فورك إلى أخواله وراء الوادي.. ولكن انتظر.. بل انصرف أنت الآن ودعني أدبر أمري في هدوء.

- إظلام -

(٢)

(مصعب بن عمير – أم مصعب – الخادم عثمان – في جوف الليل)

(مصعب بن عمير يدخل وفي يده بعض الأوراق. يفاجأ مصعب بوجود أمه في هذا الوقت المتأخر).

مصعب: أماه؟ عمت مساءً يا أماه!

الأم: لم تكن تتوقع.

مصعب: هذا صحيح. ولعل السبب يكون خيرا.

الأم: ومن أين يأتينا الخير، بعد أن تركت دينك ودين آبائك.

مصعب: ماذا تقولين يا أماه؟

الأم: ما سمعت يا مصعب. أين كنت حتى هذه الساعة؟

مصعب: كنت في الخارج يا أماه.

الأم: أعلم أنك كنت في الخارج. كنت في دار الأرقم، أليس كذلك؟

مصعب: أماه!

الأم: لقد علمت كل شيء. علمت أنك هجرت ديننا، دخلت في دين محمد وصحبه.

مصعب: من أخبرك بهذا يا أماه!؟

الأم: مكة كلها تتحدث عن ردتك، وأنا آخر من يعلم.

مصعب: كنت سأخبرك بكل شيء يا أماه. لأنني ما كنت لأمنع عنك هذا الخير الذي منّ الله به عليّ إذ هداني للإسلام.

الأم: أي خير وأي إسلام أيها الولد العاق؟

مصعب: أنا ما عصيت لك أمراً قط ياأماه. وما كنت عاقاً.

الأم: وأي عصيان أكبر من تسفيهك لآلهتنا؟ وأي عقوق أكبر من فجعتي فيك؟

مصعب: أنا لم أفعل ذلك يا أماه.

الأم: وما معنى تركك لدين آبائك، واتباعك لمحمد، وجلوسك معه في دار الأرقم تصلي صلاته وتقرأ كتابه. وما هذه الأوراق التي تحاول أن تخفيها عني؟ أليست من كتاب محمد؟

مصعب: بلى يا أماه.

الأم: أعطني هذه الأوراق (**تحاول أخذ الأوراق. مصعب يحول دون ذلك**).

مصعب: إذا أردت قرأتها يا أماه. وهذا ما كنت أنوي عمله.

الأم: متى؟ بعد أن صرنا حديث أهل مكة كلها؟

مصعب: أماه! أنت أعز الناس عندي. وأحب لك ما أحبه لنفسي. لذلك فقد كنت سأتلو عليك هذا الكلام، وأدعوك للدخول في هذا الدين الجديد.

الأم: خسئت! وهل أنا ضعيفة العقل مثلك؟

مصعب: أماه! إني لك ناصح.

الأم: ثكلتك أمك! هل جننت؟ هل صور لك عقلك المسلوب أن أمك «خناس بنت مالك» يمكن أن تدخل في هذا الدين الجديد لتضيع مكانتها وهيبتها بين أشراف مكة؟

مصعب: أعرف يا أماه أنك أنت من أنت بين أشراف مكة. أعرف يا أماه أن أعيان مكة وكبراءها يجلونك إلى حد الرهبة، ولكن هذا خير يا أماه ساقه إلينا محمد بن عبد الله...

(الأم ترفع يدها تهم بأن تسكت الابن بلطمة. ولكن يدها تظل معلقة. ثم تهوي إلى جانبها، وقد غلبتها عاطفة الأمومة).

الأم: تعرف أنني لم أضربك في حياتي. ولكنني سأعرف كيف أنتقم لآلهتنا إذا أنت لم ترجع عن هذا الدين.

مصعب: أماه! أنا ما عصيتك في حياتي. فلا تجبريني على مخالفتك في هذا الأمر. لأنني لا يمكن بعد أن هداني الله أن أعود إلى ضلالي القديم.

الأم: تسمي دين آبائك ضلالا، أيها الصابئ.

مصعب: أماه! ليتك تسمعين لي، ولا تحرمين نفسك هذا الفضل.

الأم: دعك من هذا الهراء ولا تجعلني أضطر لاستعمال العنف والقسوة.

مصعب: ومتى كان العنف يفلح فى تغيير القلوب، ولا سيما فيما يتعلق بالعقيدة؟

الأم: تتحداني يا مصعب؟!

مصعب: حاشا لله أن أتحداك يا أماه! ثم إن هذا الدين الجديد ينهانا عن جفاء الأب والأم ويأمرنا بطاعتهما إلا أن يأمرانا أن نشرك بالله. **(تاليا)**:

﴿ وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علمٌ فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفًا واتبع سبيل من أناب إليّ ثم إليّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ (لقمان).

الأم: هذا هو الكلام الذي سحركم به محمد.

مصعب: إنه القرآن يا أماه. كلام الله.

الأم: ليكن إذاً! ما دام لي عليك حق الطاعة، وما دام قرآنك يأمرك بذلك، فاذهب أمامي **(تدفعه أمامها وهي في قمة الغضب)**

مصعب: إلى أين يا أماه؟

الأم: سأغلق عليك الحظيرة... سأحبسك مع الحيوانات حتى يعود إليك عقلك المسلوب.

- إظلام -

(٣)

(أم مصعب على سرير المرض – خادمها عثمان)

الأم: ما خبر مصعب يا عثمان؟

عثمان: مولاتي، لقد عاد من الحبشة التي سافر إليها مع من سافروا من المسلمين.

الأم: آه! لولا غفلتك وبلادتك لما استطاع الفرار من الحظيرة التي حبسته فيها.

عثمان: مولاتي، لو لم يتمكن من الفرار بنفسه، لكنت أطلقت سراحه يا مولاتي.. فأنت أم!

الأم: ولكنني «خناس بنت مالك» قبل أن أكون أم مصعب. ولا أرضى أن يسفه أحد آلهتنا، وإن كان ابني الوحيد.

عثمان: المهم يا مولاتي، ماذا تنوين عمله الآن، وقد عاد مولاي مصعب.

الأم: سأحتال حتى أحبسه مرة أخرى. ولكنه لن يفر هذه المرة.

عثمان: مولاتي، لقد سمعت أنه توعد بقتل كل من يعاون على حبسه، فأرجوك أن تعفيني من هذه المهمة بحق الآلهة.

الأم: هل تصدق وعيده يا عثمان؟

عثمان: أنا أعرف مولاي مصعباً، كما أعرفك يا مولاتي! فلا تعرضيني لثورته وانتقامه.

الأم: إذاً، فليذهب إلى الجحيم. سأحرمه من كل أسباب النعيم الذي كان يرفل فيه، فلن أرضى أن يأكل طعامي إنسان هجر آلهة أجداده، واستحق لعنتها، وإن كان هذا الإنسان هو ابني مصعباً.

عثمان: لقد تغير مولاي مصعب كثيرا يا مولاتي. ولم يعد يهتم بنعيم ولا ثراء، ولا طعام ولا شراب، بل إنه لم يعد يهتم حتى بمظهره. إن من يراه الآن يا مولاتي لا يكاد يعرفه.

الأم: كيف يا عثمان؟

عثمان: إن مولاي مصعباً الذي كان في الماضي يزهو في ثيابه كزهور الحديقة النضيرة، ويختال في مشيته كالأمراء، ويفوح منه عبق العطور الهندية والفارسية، يراه الناس اليوم في ثوب بال مرقع، لا يكاد يستر جسده، يأكل يوما ويجوع يوما.

(يدخل مصعب في الهيئة التي وصفها عثمان – لقاء الأم والابن حار ولكن يشوبه التحفظ من الأم والحذر من الابن).

مصعب: أماه!

الأم: انظر ماذا صنع بك دينك الجديد. لولا صوتك وما سبق أن ذكره عثمان لما عرفتك.

مصعب: كيف حالك يا أماه؟

الأم: لا يغرك مرضي، فتظن أني قد أميل عن آلهتنا.

مصعب: يا أماه، إني لك ناصح وعليك شفوق. فاشهدي أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. أرجوك يا أماه!

الأم: **(غاضبة ثائرة)** قسما بالآلهة، لا أدخل في دينك فيزري برأيي، وأفقد مكانتي بين أشراف مكة.

مصعب: **(بصوت خفيض)** «إنك لاتهدي من أحببت.. ولكن الله يهدى من يشاء».

الأم: ألا تشتاق إلى طعام طيب وثوب جديد يا مصعب؟

مصعب: والله يا أمي لا أشتاق إلا إلى أن يهديك الله للإسلام.

الأم: حتى أصبح مثلك شعثاء غبراء خالية الوفاض.

مصعب: رب أشعث أغبر إذا تمنى على الله أبره. هذا هو ديننا الجديد يا أماه.

الأم: وثروات آبائك وأجدادك؟

مصعب: والله يا أمي إننا لا نعدل بديننا الجديد كنوز كسرى وملك الروم.

- إظلام -

(٤)

(على مشارف المدينة المنورة – خالد – عبد الله – مصعب)

خالد: من هذا الشاب الوضيء الذي يشع النور من وجهه؟

عبد الله: هذا مصعب بن عمير، أول المهاجرين القادمين من مكة إلى المدينة.

خالد: هذا مصعب بن عمير، الذي كان من أغنى شباب مكة وأنعمهم عيشا؟

عبد الله: نعم، لقد ترك المال والجاه والرفاهة ودخل الإسلام، وزهد في الدنيا وما فيها.

خالد: الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الإسلام.

عبد الله: حتى أمه المسنة لم تستطع فى مرضها أن ترده عن إسلامه.

خالد: لقد طلب مِنَ الرسولﷺ أن يكون أول المسلمين المهاجرين إلى المدينة.

عبد الله: أنعم غلام في مكة يمشي في هذه البردة المرقوعة!

خالد: إنه الإسلام يا أخي الذي يقول: إن الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم.

عبد الله: لقد رآه رسول الله ﷺ في هذه الحال، فرق له قلبه وذرفت عيناه بالدموع.

(مصعب بن عمير يصل إلى حيث ينتظره أهل المدينة).

مصعب: السلام عليكم ورحمة الله!

خالد وعبد الله: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته

(يتعانقون)

مصعب: رسول الله يقرئكم السلام!

خالد وعبد الله: وعلى رسول الله السلام ورحمة الله وبركاته.

مصعب: وصلت أنا وأخي عمرو بن أم مكتوم

خالد: لقد نزلت سهلا وحللت أهلا. كيف حال رسول الله؟

مصعب: بخير، هو مكانه، وأصحابه على أثري...هاهو ذا بلال بن رباح وسعد بن أبي وقاص، وعمار بن ياسر وصلوا هم أيضا.

خالد: أهلا، أهلا، بالأحبة أصحاب رسول الله

(يتعانقون)

مصعب: وصل عمر بن الخطاب في عشرين من أصحاب النبي ﷺ فالتفتْ حولهم نساء المدينة وولدانها يهللن ويكبرن، ويصحن صيحات الفرح.

عبد الله: المدينة كلها في عيد، وهذا يوم سعيد.

خالد: النسوة في المدينة أشعن الخبر في كل مكان، ويقلن: وصل رسول الله ﷺ وأصحابه.

- إظلام -

(٥)

(أنس بن مالك – عبد الرحمن بن عوف)

أنس: كل يا عبد الرحمن بن عوف!

(عبد الرحمن يبكي)

أنس: تبكي على الطعام يا بن عوف؟

عبد الرحمن: والله يا أخي يبكيني أني أخشى أن يكون الله قد عجل لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا.

أنس: لماذا تقول هذا يا عبد الرحمن؟

عبدالرحمن: لقد قتل حمزة بن عبد المطلب يوم أحد وهو خير مني، فلم نجد ما نكفنه فيه إلا ثوبا واحدا، وقتل مصعب بن عمير، وهو خير مني، فلم نجد ما نكفنه فيه إلا بردة، إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه، وإذا غطينا بها رجليه بدا رأسه، فأمرنا رسول الله ﷺ أن نغطي رأسه، ونجعل على رجليه أوراقا من نبات الإذخر ■

- النهاية -